وقفة: مع ابـن العوام

يعطينا هذا البطل مثلاً عظيمًا على الصبر والمصابرة، إنه عروة بن الزبير بن العوام، فرضي الله عنه وأرضاه، وأسكنه فسيح جناته.

إنـه العـالم المبدع، والشيخ الجليل، آلمتـه رجلـه، وهو فـي زيـارة لدمشق زمن خلافة الوليد بن عبد الملك.

فاشتدّ برجلـه الألم، وقرر الأطبـاء قطعهـا، وعرضـوا عليـه أخذ مسكّن يسكنُ به الألم أثناء قطع الرجل.

فيأبى قائلاً: (إني ما أحب أن أُسلب عضـوًا من أعضـائي وأنـا لا أجد ألم ذلك لأحتسبه عند الله).

إنها القلوب التي سكنها الإيمان، والنفوس التي اطمأنت بـالله ولله، فعرفـت قـدر ربهـا، ورضـيت بقضـاء الله وقـدره، فسـبحان الله رب العالمين.

ويرافقه في سفره أحب أبنائه، وهو محمد بن عروة بن الزبير بن العـوام، فيوقعـه فرسـه فيمـوت، فمـا كـان مـن إمامنـا عـروة إلا أن قال:{لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} [الكهف: ٦٢].

الله أكبـر، وسـبحان الله العظـيم، فهـل لـك أيهـا الأخ الحبيـب، ويـا أيتهـا الأخـت الفاضـلة، هل لكمـا أن تتخيلـوا رجـلاً جلـدًا يصـبر بهـذا القدر!

وهل يمكن لنـا أن نصـاب بمثل مصـابه فنصـبر؟ ومـا هـو الفـارق بيننا وبين عروة بن الزبير بن العوام؟

فيا أيها الأحبة في الله، الصبر الصبرَ عند المصائب والمدلهمات، وليكن لكم في عروة وأمثاله الأسوة الحسنة.

واعلموا أن ما يُعين على الصبر أمور ثلاثة:

الأول: أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى، ابتلى بالشدائد والمحن، من هم أفضل منك عند الله تعالى، فلقد ابتلى الأنبياء، والرسل، والصالحين.

ولقد ابتلى محمدًا صلى الله عليه وسلم بولده، فكان مثالاً في الصبر حين قال: ﷺ **والله إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون**.

الثاني: أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يبتل عباده ثم يتركهم بدون أجر وثوابٍ على صبرهم، ورضاهم بقضائه وقدره تعالى، بل لقد جعل للصابرين ثوابًا لا يعد ولا يحد، قال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠].

والأمر الثالث: أن الله جلت قدرته ابتلاك بمصيبة، ولقد ابتلى غيرك بأعظم منها، فمن فقد رجله عليه أن يتذكر من حُبسوا عن الحركة مطلقًا، ومن فقد عينًا وأبصر بأخرى، عليه أن يحمد الله، وينظر لمن فقدوا مطلقًا نعمة البصر،... وهكذا.

فاللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا، إنك أنت الرحمن الرحيم.

* * *